معرض «آنيمي» لمحمد الدلو في غزّة يشهد لمواهب ذوي الاحتياجات الإضافية

عندما تعجز الإعاقة أمام الخيال والإبداع!

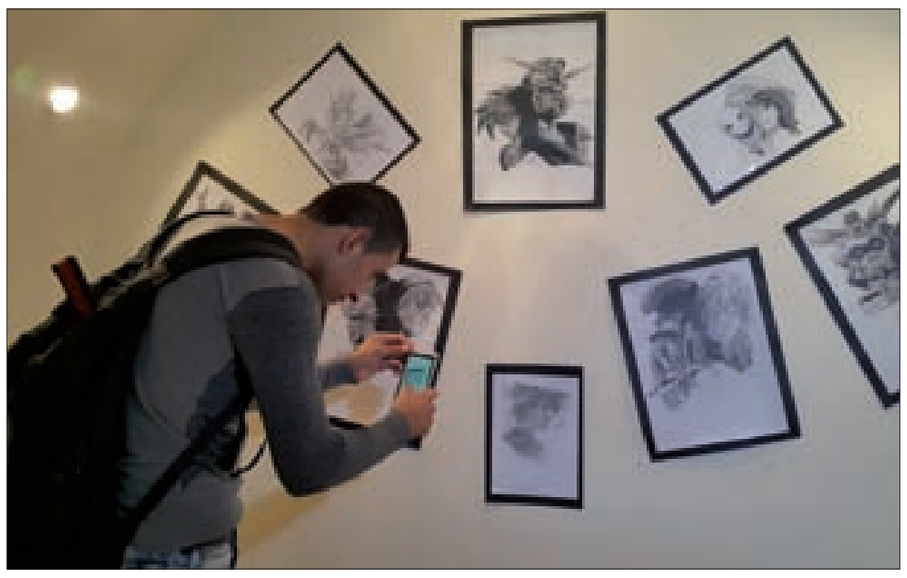

سعادة كبيرة غمرت الشاب الفلسطينيّ محمد الدلو (20 سنة) وهو يشاهد، من على كرسيّه المتحرّك، عشرات الزوّار الذين يتابعون بشغف كبير لوحاته الكرتونية، في معرض «آنيمي حياتي» الذي احتضنته بلدية غزّة في فلسطين المحتلة، ليحقق بذلك حلماً راوده منذ سنوات خلت.

وعلى رغم إصابة محمد بضمور العضلات منذ صغره، وعدم قدرته على الحركة بمفرده، ما حال دون إكمال دراسته، فإنه استطاع، باستخدام يديه فقط، أن يكسر عزلته التي فرضها عليه المرض، وأن يتقن فنّ رسم اللوحات الكرتونية المعروف باسم «آنيمي».

وما أن أنهى محمد قصّ شريط الافتتاح، حتى دفع والده كرسيّ ابنه المتحرّك متجوّلاً به في أرجاء المعرض، ليشرح للحاضرين عن لوحاته الفنية، وسط إعجاب الزائرين وانبهارهم.

تنوّعت لوحات معرض «آنيمي حياتي» المقام على أرض «قرية الفنون والحرف» في مدينة غزّة، والتي رسمها محمد ما بين شخصيات الألعاب وأفلام الكرتون «القناص»، و«يوغي»، و«ماروكو»، و«دراغونبول»، و«كونان»، و«سلام دانك»، إضافة إلى اللوحات الخاصة بالقضية الفلسطينية كرسم الشخصيات الفلسطينية، من الشاعر محمود درويش، إلى المناضل غسان كنفاني، وكذلك رسم صوَراً للمقاومين الفلسطينيين وأطفال الحجارة.

يحاول الفنان محمد الدلو إظهار أسلوبه الخاص عبر رسم الـ«آنيمي»، الفنّ النادر في غزّة. كما يثبت أن الإعاقة لا تقتل المواهب، وأن من بين أصحاب الاحتياجات الإضافية من هم أكثر كفاءةً من الأصحّاء.

ويقول الفنان محمد الدلو بصوته الضعيف، وهو محاط بعشرات المعجبين: في معرضي رسومات للصغار، في وقت يرسم الجميع للكبار، إذ أحاول عبر لوحاتي زرع القيم والمبادئ والقضية الفلسطينية في عقول الأطفال.

ويضيف الفنان الفلسطيني: أشكر بلدية غزّة على تنظيم المعرض، الذي يضمّ نحو خمسمئة لوحة آنيمي. لكنني أدعوها إلى ضرورة رعاية المواهب من ذوي الإعاقة بشكل دائم.

وشهد المعرض إقبالاً كبيراً من الطلبة الجامعيين المهتمين بالفنون، كما حرص الحضور على التقاط صوَر تذكارية مع بعض اللوحات. وعلّق الفنان محمد الدلو قائلاً: أشعر بالسعادة والفخر لأن الإقبال فاق جميع تصوّراتي.

بدورها، تقول الشابة داليا جربوع - إحدى الزائرات - إن فكرة المعرض جديدة ومميّزة، وتثبت أن الإبداع لا قيود ولا حدود له. مضيفة أن شخصاً بهذا الوضع ينتج أعمالاً بهذه الروعة، يعدّ مفخرة لكلّ الفلسطينيين.

وتؤكد جربوع ضرورة رعاية المبدعين من أصحاب الإعاقة، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم ومواهبهم. مشيرة إلى أن زيارتها المعرض تأتي من إيمانها بأهمية الفنّ في إيصال الرسائل إلى العالم.

أما الطالبة الجامعية شروق قلجة فتقول: ما أن تجوّلت في أرجاء المعرض لدقائق معدودة، حتى شعرت بمعايشة أجواء الرسومات من شدّة إتقانها.

وتضيف: أُحب الاطّلاع على كلّ جديد، وقد وجدت هنا فنّاً مميّزاً من شخص يعاني من إعاقة. مؤكدة أن حضورها هدفه تشجيع المواهب، لا سيما من أصحاب الاحتياجات الإضافية.

من جهته، يؤكد رئيس بلدية غزّة أن القطاع المحاصَر لا يقاوم الاحتلال الصهيوني بالبندقية فقط، إنما بالرسم أيضاً، وذلك في سبيل تحرير فلسطين، والتعريف بقضيتها.

ويشير نزار حجازي إلى أن بلدية غزّة تولي اهتماماً بالمواهب الشابة قدر المستطاع، مشيداً بالإبداع الذي جسّده الفنان محمد الدلو من خلال رسوماته، والتي عُرضت في معرض هو الأوّل من نوعه في فلسطين.

كما دفعت الطريقة المتقنة التي رُسمت فيها اللوحات، الشاب عبد الله مطر - أحد الزوّار - ليعبّر عن انبهاره بما شاهد قائلاً: الجميع ممتنون للفنان محمد الدلو لإدخاله فنّاً جديداً إلى غزّة.

ويقول: الفنان أثبت مقولة «لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة»، فلا شيء مستحيلاً، ونحن جئنا لدعمه وتأييده.

في الذكرى 42 لرحيل عميد الأدب العربي طه حسين: حياة صاخبة ومحطات حافلة بالتحدّي

محمد محمد خطّابي*

عميد الأدب العربي طه حسين، من مواليد قرية مغاغة (محافظة المنيا) في 15 تشرين الثاني 1889، والتحق بالرفيق الأعلَى في يوم 8 تشرين الأول 1973 عن عمر يناهز 84 سنة. في مثل هذا التاريخ من العام الحالي 2015، مرّت اثنتان وأربعون سنة على رحيل هذا الرائد في مجالات التنوير والتحديث والكتابة والتأليف والإبداع والتعليم.

قال أبو عليّ البصير:

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي
ويقتادني في السير إذ أنا راكبُ
فقد يستضيء القوم بي في أمورهم
ويخبو ضياء العين والرأي ثاقبُ

وهذا ما ينطبق تماماً على أديبنا الكبير الراحل طه حسين، تلك الشخصية العنيدة المتمرّدة، التي أحدثت هزّات عنيفة في حياتنا الأدبية، ذلك الطوح التوّاق إلى التجديد والتحديث، والمفكر العملاق الذي تصدّى لنوائب الدهر، وصروف الزمن، لقد كان طه حسين هادياً لنا، ولطالما استضأنا بآرائه الثاقبة، في عدد من أمورنا وآدابنا وتاريخنا، وإن خبا ضياء عينيه، وحُرِم نعمة البصر والنور.

كان شخصية فريدة من نوعها، لا يضاهيه فيها سوى أمثاله من العظماء الأفذاذ والعباقرة القلائل الذين أحدثوا تغييراً جذرياً في الفكر والثقافة والعلم والأدب والإبداع، إذا ما جال المرء بفكره في تواريخ الأمم على اختلافها. فبأيّ كلمات يمكننا أن نصف ذلك الرجل القروي الفقير الذي انحدر من أعالي الصعيد، من بيئة تسودها تقاليد بالية، وعادات سقيمة، لا تسمح لأحد أن يتخطى حدودها الضيّقة إلا لرجل من طينة طه حسين؟

الجميع يعرفُون قصّة كفاحه المريرة، وتتبّع مراحل حياته الصاخبة المضطربة الحافلة بشتّى ضروب التحدّي والصمود، ثم التفوّق والنجاح إلى اليوم الذي انتقل فيه إلى مثواه الأخير. وقد حقّق ما كان يصبو إليه منذ كان في قريته، كما يعرف الجميع، مدى ما تركه بيننا، ونحن تلامذة تلاميذه، من صدى عميق، لا زال أثره يفعل فينا فعل السحر، ويبعث على الزهو، والفخار، والإعجاب بشخصية ذلك الرجل الأسطورة الذي لا يجود الزمان بأمثاله إلا بعد مراحل متباعدة من الدهر، كالمرحلة الزمنية التي تفصل بينه وبين قرينه أبي العلاء.

كان طه حسين صبياً مغموراً كسائر صبيان قريته يركضون في جنبات القرية وأرباضها، ويلعبون ويعبثون، وهمّهم الوحيد اختزان أكبر قدر من سوَر القرآن. كما كان عليه الشأن في جميع بوادي مصر وقراها في ذلك الإبّان.

كان يقرأ القرآن على الأموات في الجنائز مع أترابه، وكان كل مبتغى والده منه يتمثّل في قوله له في يوم من أيام خريف 1902: «أمّا في هذه المرّة، فستذهب إليّ القاهرة مع أخيك، وستصبح مجاوراً، وستجتهد في طلب العلم. وأنا أرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضياً، وأراك من علماء الأزهر، وقد جلستَ إلى أحد أعمدته، ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدى».

غير أن هذا الصبيّ تخطّى ذلك كلّه إلى أبعد بكثير ممّا كان يتمناه له والده، أو يظنّ هو ذاته عن نفسه. أجل لقد حقّق طه حسين الكثير، وهو لم يبلغ ما ناله من شهرة واسعة، ومجد أدبي كبير عن طريق الصّدفة أو الحظ، بل لقد كانت نفسه مهيّأة لمثل هذه الرسالة الكبيرة التي اضطلع بها في حياته، والتي نقف نحن اليوم، ويقف عارفو آثار طه حسين، ودارسو تاريخه الشخصي ذاهلين مشدوهين ممّا حققه ذلك الصبيّ الأعمى الفقير.

ولنبحث منذ البداية عن بعض الجوانب من مظاهر الطموح المبكّر في شخصية هذا الأديب الكبير، منذ صباه البعيد في قريته بمغاغة في صعيد مصر.

يحدّثنا طه حسين في كتابه «الأيام» عن «القناة التي تنتهي عندها الدنيا» حسبما كان يخيّل إليه، وكم كان يتمنى، أن لو استطاع أن يحمله أحد إليها، أو يتخطّاها هو نفسه ليرى ما وراء هذه القناة التي كانت بالنسبة له بمثابة عالم جديد مسحور، فيه بعض ما تشتهي نفسه وتتوق إليه. وفعلاً تحقّقت أمنيته فإذا به: «يذهب غير ما مرّة إلى حيث كانت تقوم وراء القناة شجرات من التوت فيأكل من توتها ثمرات لذيذة»، كما يذكر أنه تقدّم غير ما مرّة إلى حديقة المعلّم وأكل فيها غير مرّة تفّاحاً، وقطف له فيها غير مرّة نعناعاً وريحاناً».

أحلام فتى طموح

إنّ أكبر ما كان يظفر به المرء في قريته هو لقب الشيخ، وها هو ذا صبيّنا سرعان ما أصبح شيخاً، وهو لمّا يتجاوز التاسعة من عمره. غير أنه لا يقنع، ولا يقتنع بهذا اللقب، إذ ما هي إلاّ أيام حتى سئم لقب الشيخ، وكره أن يُدعى به، كما أنه: «لم يلبث شعوره أن استحال إلى ازدراء للقب الشيخ» كان كل منيته أن يعثر على خاتم سليمان «الذي كانت حاجته إليه شديدة». كما كان يقضي طوال النهار في راحة مطلقة، ولعب متّصل ينتظر أن تنتهي السنة، ويأتي أخوه الأزهري من القاهرة» إنه ينتظره لأنّ والده وعده بأنّ أخاه هذا سيصحبه معه إلى القاهرة ليجاور في الأزهر. أجل تلك كانت منيته، وهي الانسلاخ من قريته، والبحث عن بيئة جديدة مناسبة حتى لو كانت هذه البيئة في الأزهر، ويعترف لنا طه حسين في «الأيام» أنه لم يكن حزيناً قط لفراق الأهل والقرية في الطريق إلى القاهرة، التي ما أن يصلها حتى بدأ يختلف إلى الأزهر حيث وجد كل شيء على ما كان عليه الأمر في قريته، ولمّا سمع العالِمَ الأزهري يقول: «ولو قال لها أنت طلاق، أو أنت ظالم، أو أنت طلال أو أنت طلاة، وقع الطلاق، ولا عبرةَ بتغيّر اللفظ... فَاهِمْ يا أدعَ؟»، حتى إذا انصرف عن الدّرس سأل أخاه ما الأدعَ؟ فقهقه أخوه وقال له: الأدع الجدع في لغة الشيخ»! وأقسم طه حسين أنه بعد ذلك احتقر العلمَ منذ ذلك اليوم.

إقرأ يا أعمى

ويتمثّل لنا مظهر آخر من مظاهر هذا الطموح المبكّر كذلك في حديث الفتى إلى أخواته، وهو ما زال في القرية، حيث كان يقول لهنّ إنه سوف يذهب إلى أوروبا، وينعم فيها بالحياة الهادئة الهانئة هناك، وأنه سيصطحب معه زوجة مثقفة ليست غافلة مثلهنّ ولا جاهلة مثلهنّ. كان الجميع يضحكون ويسخرون من أحلام هذا الفتى الطموح بمن فيهم أهله وذووه وأصحابه ومعارفه، كيف السبيل إلى تحقيق آماله وهذا أستاذه يصيح فيه في ازدراء وسخرية مريرين: إقرأ يا أعمى... وهذا ابن خالته يهزأ منه ويصفه بالجاهل الذي لا يفقه من تاريخ بلاده شيئاً، ولا تتعدّى علومه حفظه القرآن، وبعض قواعد النحو والصرف. غير أن طه حسين لم يثنه شيء عن مواصلة الطريق بالإيمان الذي رسخ في أعماقه منذ قرّر البحث عن خاتم سليمان، منذ أن اكتشف عالمه الجديد من وراء القناة حيث الحقول الخضراء، والسهول الخصبة تجري فيها المياه عذبةً سلسةً منسابةً من كل الجوانب، وحيث تكثر أشجار التوت والتفاح!

إنّ الظلام الذي أطبق على طه حسين لم يزده إلا إيماناً وقوة وعزماً لمضاعفة طموحه وتطلعاته وانطلاقه بصبر حثيث، وبعزيمة لا تقهر، وإرادة لا تعرف الوهن نحو سبر كلّ مجهول، وتحقيق أهدافه، أو ربّما بلوغ غاياتٍ لم تخطر له على بال.

وما هي إلّا سنوات قليلة لا تتعدّى الأربع، حتى سئم طه حسين الأزهرَ والأزهريين، ولم يعد يطيق المكوث فيه أكثر ممّا قضى من مدة، والتي ذاق فيها من ضروب المرارة والسخرية والعنت الشيء الكثير. كيف لا وهو يسمع بين الفينة والأخرى من هذا وذاك تلك الكلمة القاسية الجارحة والمؤلمة: يا أعمى!

حينئذ، قرّر طه حسين أن يهجر الأزهر، وانتسب إلى الجامعة المصرية، وتذكرنا هذه الحادثة بالشاعر الرقيق المرحوم كامل الشناوي الذي كان يقول هو الآخر: إنه حينما وضعَ العمامة عن رأسه، وضع معها كلّ أحزانه وهمومه.

وقبل أن يهجر طه حسين الأزهر كانت له فيها صولات وجولات ومعارك، تشهد على تفوّقه ونضجه وطموحه وإيمانه بنفسه، لقد كان يجادل ويناقش بالعقل والبرهان الطلبة والشيوخ أنفسهم. «وذات يوم، جادل الشيخ في بعض ما كان يقول، فلمّا طال الجدال غضب الشيخ وقال للفتى في حدّة ساخرة: أسكت يا أعمى ما أنت وذاك»... «وامتلأت نفسُ الفتى حزناً، وغيظاً، وساء ظنّه بالطلاب كما ساء ظنّه بالشيوخ».

فولتير مصر وأبو علائها

ومن مظاهر هذا الطموح أيضاً في تلك الفترة التحاقه بالمدرسة الليلية التي أنشأها الشيخ عبد العزيز جاويش لتعليم اللغة الفرنسية لمن يشاء من الطلاب. إذ لم يتوانَ طه حسين لحظة في الانضمام إلى هذه المدرسة طمعاً في تحقيق رغبته، واكتساب علم أفضل، ومنزلة أعلى سائراً في الطريق الذي اختطّه لنفسه التوّاقة نحو اقتحام كل مجهول. كما أنه كان يكتب بغزارة في كبريات الصحف الأدبية والسياسية، ويتعرّف إلى رجالات مصر وأساتذتها الكبار، حيث تعرّف على أحمد لطفي السيّد الملقّب بأستاذ الجيل ومدير «الجريدة»، وصاحب الدعوة العقلانية، وإذاعة المنطق الأرسطي، الذي كان يشجّع طه حسين، ويرسم له خطط المستقبل ليكون أديباً كبيراً، وممّا كان يقول له: «أنت فولتير مصر في المستقبل، وأنت أبو علائنا»، يعني شاعر المعرّة. ثمّ نال طه حسين الدكتوراه الأولى التي منحته إياها الجامعة المصرية عام 1914 عن أبي العلاء المعرّي نفسه. وبعد ظروف صعبة ابتعث طه حسين إلى فرنسا، حيث حصل هناك على رسالة الدكتوراه، كذلك عن فلسفة ابن خلدون، وفي فرنسا حقّق أكبر قسط من أمانيه، وأحلامه وطموحه، حيث شاء له القدر أن يلتقي هناك مع رفيقة عمره التي كانت تقرأ له أشعار «راسين» بصوت عذب رخيم.

وعاد طه حسين إلى مصرَ متشبّعاً بالمناهج العلمية الحديثة في دراسة التاريخ والآداب التي تلقّاها عن أساتذة ومستشرقين كبار في فرنسا، فنشر كتابه «في الشعر الجاهلي»، وقد أعاد طبع هذا الكتاب بعد أن بدّل عنوانه، وغيّر في بعض فصوله وإن لم يحد فيه عن الأفكار الرئيسة التي أثارها في الطبعة الأولى.

ويتجلّى لنا طموحه كذلك في عدد من أعماله الأدبية التي تزخر معظمها بالرموز والدلالات العميقة عمّا كان يعتمل في نفسية هذا الصبيّ من حوافز التطلّع أبداً نحو الأمام، واكتشاف عوالم جديدة وآفاق بعيدة، يتجلّى هذا في أعماله القصصية، كـ«دعاء الكروان»، و«المعذّبون في الأرض»، و«أحلام شهرزاد»، و«شجرة البؤس»، و«أديب»، و«الأيام»، وغيرها ممّا يضيق المجال هنا للتعرّض لها بالتفصيل.

العلم والتعليم والإيمان بالعمل

لقد بنى طه حسين طموحه على عاملين اثنين أساسيين في حياته أوّلهما: العلم، أو التعليم، فبالتعليم استطاع أن يشقّ لنفسه طريقاً أفضى به إلى الأزهر، وبالتعليم انتقل من الأزهر إلى الجامعة المصرية، وبالتعليم كذلك نال تلك المكانة المرموقة بين معاصريه، وبين من جاؤوا بعده. وبالتعليم انتقل من حياة الشظف والفقر والخصاص إلى حياة الرفاهية والنعيم، وبه انتقل من الغضارة إلى الوزارة، حيث كان مستشاراً، ثم وزيراً للمعارف والتعليم، وبالتعليم كذلك بلغ عمادة الجامعة ثمّ عمادة الأدب العربي.

وكان يقول: «إنّ العلم كالماء والهواء يجب أن يكون متاعاً لكل أفراد الشعب، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية حقيقية من دون أن يتعلّم الشعب» ولهذا السبب لُقّب بوزير الماء والهواء! وفي كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» يعرض طه حسين آراءَه في في العلم والتعليم، وفيه يقول: «كي ننشئ لمصر الحديثة أجيالاً من الشباب كراماً أعزاء، لا يتعرّضون لمثل ما تعرّض له بعض أجيالنا السابقة من الذلّة والهوان، سبيل ذلك واحد لا ثانية لها وهي بناء التعليم على أساس متين»، وهكذا يصرّ على التعليم الذي يفضي إلى المقاصد النبيلة والكريمة للأمّة من حرية وديمقراطية حقّ كقاعدة أساسية لبلوغ الغايات من استقلال وتقدّم ورقيّ ورخاء وازدهار».

والعامل الثاني الذي يؤكّد به هذا الطموح هو الإيمان بالعمل. فطه حسين لم يعرف اللهو في حياته إلا لماماً. لا بل على العكس، كان شغوفاً بالعمل، مهووساً به إلى أبعد الحدود، لأنه كان يرى فيه الدافع الأساسي لتغيير مجريات الأمور، وتحريك السواكن.

يقول في كتابه «مرآة الضمير الحديث»: «إنّ تغيير الأشياء لا يكون بالكلام الذي يُقال عن إخلاص أو تكلّف، أو عن تفكير أو اندفاع. إنما يكون بالعمل الذي ينقل الأشياء من طور إلى طور». كما يؤكّد هذه المعاني في كثيرٍ من كتبه سواء التاريخية، أو الأدبية وغيرها.

كان طه حسين شاهداً على عصره، كان الأديب الذي عاش عصره، واستوعبه، وقدّم له الكثير، فكان بحقّ رائداً من روّاده، ومثالاً نادراً يُحتذى به، في تخطّي العقبات، وتأكيد العزم، وتحقيق الغايات، لما عُرف عنه من جرأة، وشجاعة نادرتين، وفهم عميق للحياة، واطّلاع واسع على ثقافات الأمم قديمها، وحديثها. الأمر الذي أهّله بحقّ أن يُلقّب عن جدارة واستحقاق، بلقب «عميد الأدب العربي». وكما نذكره نحن اليوم في ذكرى رحيله الثانية والأربعين، وفي كل ذكرى، لا بدّ أن التاريخ الإنساني سيذكره كذلك، ويضعه في مصاف عظمائه وكبار مفكّريه وكتّابه وشعرائه أمثال المعرّي وبشّار وبورخيس وابن خلدون وديكارت وراسين الذين كان طه حسين معجباً بهم.

* باحث وناقد مغربي

نجاح إبراهيم: الجوائز تحتّم على الأديب الارتقاء أمام قرّاء توسّموا فيه الإبداع

قدّمت الأديبة السورية نجاح إبراهيم عبر مسيرتها الإبداعية عدداً من الأعمال القصصية والروائية التي أهّلتها لأن تكون في طليعة الكاتبات السوريات المعاصرات، مستفيدةً في ذلك من مخيلتها الواسعة وأسلوب القصّ الشعري لتقدّم لقارئها أدباً نسائياً له هويته الخاصة.

تقول إبراهيم: دفعني الأدب منذ الصغر إلى التأمل والعزلة، فصرت ألجأ إلى الكتابة التي يحرّضها الماضي وما أمتلكه من ثقافات اطّلعت عليها خلال حياتي.

وعن تأثرها بالأديب السوري الراحل عبد السلام العجيلي تقول: منذ بدأت قراءة أعمال أديب الرقة الأشهر، صارت رائحة حضوره في قصصي القصيرة واضحة، إنما من دون أن أتأثر بأسلوبه وكتاباته. فأنا أكتب بطريقة مختلفة، إذ أجنح نحو الخيال والشعرية وأستخدم الرمز والتكثيف والصوفية. بينما كان هو شديد الوضوح في سرده.

وتكشف مؤلفة مجموعة «حوار الصمت» أن الراحل العجيلي خصّها بأشياء ما كانت لترى النور إلا حين صارت بين يديها. وكانت قبل ذلك في خزانة حديدية تأكلها العتمة والسرّية، وربما الخشية من سقوط غبار على مرآة الوقار.

وعلى رغم ذلك، فإن الأديبة السورية لا تعتبر أنه من الضروري بالنسبة إلى المبدع أن تكون عنده شخصية أدبية يعتبرها كمثال في مسيرته، إنما هو يحتاج أكثر إلى متلقّ يجيد قراءة نصّه.

وبالعودة إلى زمان أسماء لامعة أضاءت سماء الأدب، تتمنّى إبراهيم لو كانت في زمن جبران خليل جبران أو التقت الشاعر الراحل نزار قباني، أو طُويت المسافات بينها وبين إدوارد الخراط، أو كانت في دائرة جبرا إبراهيم جبرا.

وردّاً على سؤال حول وجه الاختلاف بين القصة والرواية، تقول مؤلفة رواية «عطش الإسفيدار»: القصة القصيرة لا تحتمل أكثر من فكرة تحملها الشخصية المحورية لتوصلها إلى القارئ. فهي تختلف عن الرواية التي تتشعّب بأفكارها وشخصياتها وحواراتها. مضيفة: حين تكون فكرتي جاهزة، أحاول كتابتها. وعندما يأتي شريطها اللغويّ قصيراً وعالمها كثيفاً وزمنها وإطار تعبيرها محدودَين من الشخصيات، ولا أستطيع الامتداد، أعي وقتئذٍ أن ما أكتبه قصّة قصيرة ولا يمكن أن تتحوّل إلى رواية.

وتتابع إبراهيم: لا تنفتح دروب الرواية أمام كل قصة. فثمة فكرة لا تتوالد عنها أفكار، ولا تبدي رؤى، وتبقى اجتزاء لمساحة محدودة من العالم. أما الرواية فتحتمل أفكاراً أكثر لأن المطلوب منها أكبر. إذ إنها أداة معرفة وشكل تعبيري يكشف تحوّلات عميقة في بنيات المجتمع ورؤاه للعالم.

ولكن على رغم ذلك، تعتبر الحائزة على «جائزة العجيلي للقصة القصيرة» أن القصة من الممكن أن تتحوّل إلى رواية إذا كان لدى الكاتب الكثير ممّا يريد أن يقوله مع القدرة على الإمساك بخيوط الحبكة التي هي ذلك الخيط الرابط الذي يتسلسل سببياً للأحداث. أما الرواية إن تم تكثيفها، فربما تفقد الكثير من أهميتها.

وعمّا إذا كان يجوز للأديب استخدام الشعر في قصصه أكّدت إبراهيم أنه يحق للكاتب صهر عناصر السرد لديه بعناصر الشعر. مبيّنةً: عندما بدأت الكتابة، كانت لغة الشعر تبهرني وتسكنني. فطمحت أن تكون لغة سردي لأنها لا تمنح بسهولة المعنى للنصّ أو بشكل مباشر واعتيادي.

وأضافت مؤلفة رواية «التميمة»: لما كنت أمتلك لغة أفاخر بها أمام نفسي، تكامل لديّ الطموح واللغة العالية، لتساعدني في كتابة نصّ أدبي شعري بحيث تخرج الكلمات من دلالتها اللغوية لتشحن بفيض من الصور والأخيلة ولتفتح أمامها ألف كوّة للتأويل.

وتبيّن إبراهيم أن اتجاهها نحو الأدب أو القصّ الشعري، لم يكن رغبة منها في التزيين أو لمجرد إضافة زخرفية، إنما هو نوع من التزاوج بين الفكرة التي تقتبس من واقع وخيال واسع ولغة عالية. وهذا يقدّم نصّاً بعيداً عن الجفاف والصرامة ويعبّر عن التوق لابتكار طرق جديدة للفرح بتشكيل العالم من جديد.

وعن رأيها بالجوائز وهل ترى في ذلك تكريماً لإبداع الكاتب أم مسؤولية إضافية يتحمّلها تقول: تأتي الجائزة أولاً وأخيراً بعد اكتمال النصّ، وهذا لن يغيّر من قيمته. ولكن إن تناقلت وسائل الإعلام أن هذا النصّ فاز بجائزة، فسيتهافت القرّاء عليه وسيمدّه النقاد بالاهتمام.

ولكن إبراهيم ترى من جهة أخرى أنّ حصول الأديب على جائزة يضعه أمام مسؤولية البقاء في مستوى لائق أمام قارئ توسّم فيه إبداعاً.

وحول تجربتها النقدية تقول إبراهيم: لا أحبّ النقد الأكاديمي المقولب بأدواته الجامدة، وعلى رغم أن النقد له مدارسه وأدواته التقليدية ومبادؤه لكنه لم يتطوّر على مرّ العقود كما ارتأى الناقد الفرنسي رولان بارت الذي أضاف ما لم يضف ناقد آخر من ذلك الحين.

وتضيف: غالبية مَن كتبوا عن أعمالي من نقاد، كرّروا أسلوبهم مع أن بعض نصوصي تحتمل أكثر من تأويل وتفسير. لذلك اتجهتُ إلى كتابة النقد. فكان كتابي الأول في هذا الخصوص «سادنات السرد»، وهو نقد لكاتبات عربيات، أتناول فيه روايات وقصصاً نسائية. معتبرة أن بعض النقاد العرب كانوا أجمد من الجمود ذاته.

وعن رأيها بالنقد الأدبيّ في سورية، ترى الأديبة السورية أن النقد بشكل عام في العالم العربي كلّه يتراجع أمام الكمّ الهائل من السرد والشعر وقلة عدد النقاد وعدم قدرتهم على مواكبة ما ينشر. فظلت قامة النقد أقصر بكثير من قامات الكتابة الأدبية. مشيرة إلى أننا ما زلنا نقرأ نقداً يكتب لتهدئة خاطر أو لمكسب ودّ وغيره. وأن النقد في سورية ضعيف لقلّة النقاد وعدم تشجيع عملية النقد من قبل المهتمين والقيّمين على الفعل الثقافي.

وترفض إبراهيم فصل الأدب بحسب جنس الكاتب. مبيّنةً أن الكاتبات في العالم العربي قلّما خرجن من دائرة همومهنّ الشخصية أو بحثهنّ عن ذاتهنّ وكينونتهنّ. وثمّة روائيات قليلات خرجن بأفكارهنّ عن الهمّ الخاص واخترقن ولوجاً همّاً أكبر كسحر خليفة. ولكن الأسلوب بقي ذا رائحة أنثوية طاغية.

يشار إلى أن الأديبة نجاح إبراهيم تكتب القصة والرواية والنقد الأدبي، وتشغل منصب رئيس فرع اتحاد الكتّاب العرب في الرقة. نالت إحدى عشرة جائزة على مستويَي سورية والعالم العربي في مجالَي القصة والرواية. ولها 13 إصداراً أدبياً منها «المجد في الكيس الأسود»، و«أهدى من قطاة»، و«بين زحل وكمأة»، و«أحرقوا السذاب لجنونها»، و«أصابع السرطان». وتُرجمت إلى الفرنسية روايتها «عطش الإسفيدار».

شاركت نجاح إبراهيم في تحكيم عدد من المسابقات والمهرجانات، وكُرّمت أكثر من مرة لدورها في الحراك الثّقافي في سورية، وأخذت وزارة التربية نصّاً لها يُدرّس للصف السابع منذ خمس سنوات.